حجَّكم فلا تدخلوا بيننا، فغضب بيبرس، وقبض على حُميضة ورُميثة وحملهما إلى القاهرة. وأقام أبا الغيث وعُطيفة موضعهما. ثم أفرج عنهما في أوائل سنة (٧٠٢)، وخلع عليهما وتوجّها إلى مكة، ففرّ أبو الغيث، ثم فرّ حُميضة من أمير الحجّ في سنة (٧٠٧)، فقرَّر أبا الغيث مكانه. فلما رجع العسكر عاد حُميضة مختفياً في زي امرأة، وفرّ إلى العراق مستجيراً بملكها خربيدا فتلقاه وأكرمه وبالغ في الإحسان إليه. وندب معه أربعة آلاف فارس، وراسل أخاه رُميثة أن يأذن له بدخول مكة، ويشاركه الإمرة كعادته فامتنع، وكاتب الناصر فأجابه بأن لا يفعل إلا إن دخل حُميضة إلى مصر، فوصل حميضة بالعسكر ونازل رميثة فانهزم، ودخل حميضة مكة عنوةً، وقطع خطبة الناصر، وخطب لخربيدا، وأخذ أموال التجار. فجرّد الناصر عسكراً فانهزم منهم من غير قتال. ثم عاد بعد ذهاب الحجّ فأرسل رُميثة يطلب الأمان فأمّنه، ثم اصطلحا، فبلغ ذلك الناصر، فغضب وقرّر عُطيفة في إمرة مكة، فخرج حُميضة عن مكة. فلما حجَّ الناصر سنة (٧١٩) وعاد، عاد حُميضة وأخذ أموال الناس من النقد وغيره وحمل منه مائة جمل، وأحرق الباقي، وتحصّن بحصنه الذي له بالجديدة، وقطع ألفي نخلة. فأرسل الناصر عسكراً ودخل مكة العسكر في ذي القعدة سنة (٧١٥) ثم تبعوه إلى مكانه فأحرقوا الحصن وأخذوا ما مع حُميضة من الأموال وأخذوا ابن حُميضة أسيراً وسلموه لِعمّه رُميثة، واستقر رُميثة أميراً. ولحق حُميضة بالعراق، ثم اتَّصل بخربيدا، وقام في بلاده وجهّز له جيشاً بعد أن أطمعه أن يخطب له بها، فمات خربيدا، ولم يتم ذلك، فعاد حُميضة إلى مكَّة. واتفق أنه هرب من مماليك الناصر ثلاثة أنفس، فمرّوا بحُميضة فأضافهم فرأى فيهم شاباً جميلاً فمال إليه، وكان معروفاً بذلك، وأوسع له في المواعيد إلى أن أطاعه واستمر في خدمته. فلما رأى ذلك رفيقاه أقاما في خدمة حُميضة. واختصّ بذلك الشاب، فصار لا يكاد يصبر عنه ساعة. وتمادى حالهم عند حميضة فخشوا منه أن يتقرب بهم إلى الناصر فقتلوه في وادي بني شعبة. وظفر بهم عطيفة فقيّد الذي تولى قتله وجهّزه إلى الناصر فقتله به وذلك في جمادى الآخرة سنة (٧٢٥)، وكان شجاعاً فاتكاً كريماً وافر الحرمة عظيم المهابة، اتفق أن رجلاً مدَّ يَدَهُ لأخذ شيءٍ وجده مطروحاً فقطع يده، فصارت الأموال توجد ولا يتعرض لها أحد من مهابته.

(١٦١)

(الشريف حَمُّود بن مُحمَّد الحسني صاحب أبي عَريش)[١]

ولد بعد سنة ١١٦٠[٢] تقريباً، ثم استقل بولاية أبي عريش وسائر الولاية

(١) ترجمته في: نيل الوطر: ١/ ٤٠٨؛ الأعلام: ٢/ ٢٨٢.

(٢) في الأعلام: ولد سنة ١١٧٠هـ/ ١٧٥٦م.

الراجعة إلى أبي عريش، كصبيا وضمد والمخلاف السليماني. وكان متولياً لذلك من طرف مولانا الإمام المنصور باللَّه رحمه اللَّه. ثم حَدَث ما حدث من قيام صاحب نجد واستيلائه على البلاد التي بينه وبين أبي عريش، فأمر عبد الوهاب بن عامر العسيري المعروف بأبي نقطة بأن يتقدم في جيشه على بلاد الشريف حمود، فتقدم في نحو عشرين ألفاً، والشريف حمّود استقرّ في أبي عريش لقلّة جيشه، فتقدم عليه أبو نقطة إلى أبي عريش فدخلها في سنة (١٢١٧) وقُتِل من الفريقين فوق الألف، ثم استسلم الشريف حَمّود ودخل في الدعوة النجدية، ثم خرج على البلاد الإمامية فاستولى على بندر اللحية، وعلى بندر الحديدة، وعلى زبيد والحيس وما يرجع إلى هذه الولايات، واختط مدينة الزهراء، وصار الآن ملكاً مستقلاً. ثم فسد ما بينه وبين النجدي فأمر أبا نقطة المذكور بأن يغزوه فغزاه والتقيا بأطراف البلاد فقتل أبو نقطة وانهزم جيش الشريف وقتل منهم نحو ألفين. وكان جيشه من يام وبكيل وقبائل تهامة زهاء سبعة عشر ألفاً. وكان جيش أبي نقطة كما قيل مائة ألف لأنه أمده النجدي بجماعة من أمرائه كابن شكيان والمضايفي. ثم إن جيش صاحب نجد بعد قتل أبي نقطة وهزيمة الشريف تقدّم على بلاد أبي عريش وجرت بينهم ملاحم كبيرة وانحصر الشريف في أبي عريش، وشحن سائر بلاد أبي عريش بالمقاتلة. ثم رجع سائر الأمراء النجدية وبقي بقية من الجيش في بلاد أبي عريش والحرب بينهم سجال. وكانت هذه الحرب التي قتل فيها أبو نقطة في سنة (١٢٢٤). وبالجملة فصاحب الترجمة من الأبطال، وقد جرت بينه وبين الأجناد الإمامية عند استيلائه على البلاد التي قدمنا ذكرها ملاحم عظيمة لا يتسع المقام لبسطها. وفي سنة (١٢٢٤) وقع الصلح بينه وبين مولانا المتوكل على اللَّه قبل دعوته، وكان ذلك باطلاعي أن يثبت الشريف على ما قد صار تحت يده من البلاد، ثم بعد هذا انتقض الصلح بينه وبين مولانا المتوكل، ولم تزل الحرب ثائرةً بينه وبين الإمام إلى هذا التاريخ وهو سنة (١٢٢٩)، وهو مُستمرٌّ على الانتماء إلى صاحب نجد. (ومات) في سنة ١٢٣٣ ثلاثٍ وثلاثين ومائتين وألف.